

الدنيا وأحوالها

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الدنيا وأحوالها

يقول الله سبحانه وتعالى :

" قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ^(١)"

ففرى الله عز وجل قد وصف الدنيا بأنها متاع قليل والإنسان فيها يحصل من ذلك القليل قليلا وذلك القليل إن هو تمتع به فهو لعب ولهو لقول الله سبحانه

" أَلَمْ نَجْعَلِ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوًى وَزِينَةً وَتَفَاخُرًا بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرًا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ^(٢)"

يقول سبحانه : " وَمَا هَذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(٣)"

ومعنى أن الدار الآخرة هي الحيوان يعنى الحياة الدائمة الخالدة المستمرة ، وهي بلا ريب خير من الأولى .

قال تعالى : " وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الْأُولَىٰ " ^(٤) ويقول ابن عياض رحمه الله " لو كانت الدنيا ذهبا يفنى ، والآخرة خزفا يبقى ، لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى . و'لتأمل فى الحياة الدنيا يجد أن كل ما فيها ظل زائل وعارية مستورة ، وتأمل ما أعطيه سليمان عليه السلام فقد ملك الدنيا من إنس و جن ، وتسخير الريح والطيور

١ - سورة النساء : الآية : ٧٧ .

٢ - سورة الحديد : الآية : ٢٠ .

٣ - سورة العنكبوت : الآية : ٦٧ .

٤ - سورة الضحى الآية : ٤ .

والوحوش ثم قال الله تعالى: " هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (١) ومع ذلك لم يعدها نعمة، وخشى أن يكون ذلك مستدرجاً له فقال: " هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيَ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " (٢) وعن ابن معاذ قال: " الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب، فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال: " ركوب إلى الدنيا (٣)، وهمم عدو، وحسد أخٍ وحب شرف. وعن النبي عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه:

يا علي أربع خصال من الشقاء: " جمود العين، وقسوة القلب، وبعد الأمل، وحب الدنيا " ويعنى بجمود العين عدم البكاء من خشية الله، وانعدام البكاء دليل على قسوة القلب، وقسوة القلب دليل على الطموح والأمل، والتعلق بالدنيا وحبها فالخير كله يكمن في الزهادة في الدنيا، والدنيا من الدنايا كما أن الشر مفتاحه حب الدنيا:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة
شخصاً و أصواتاً يخالف بعضها
تجىء وتمضى بابة بعد بابة (٤)

لمن كان في علم الحقائق راقى
لبعض وأشكالاً بغير وفاق
وتفنى جميعاً والمحرك باقى

ويقول شرف الدين بن أسد:

يامن تملك ملكاً لابقاء له
هل الحياة بذى الدنيا وإن غربت

حملت نفسك أثناماً وأوزارا
إلاكطيف خيال فى الكرازارا (٥)

١ - سورة ص: الآية: ٣٩.

٢ - سورة النمل: الآية ٤٠.

٣ - المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشهى. ص.٢. ص.٨٠٧ وما بعد طدار الجبل - بيروت لبنان ٤١٣س١٩٩٢.

٤ - بابة بعد بابة: يعنى مرة بعد مرة.

٥ - ذاته ص: ٨٠٨.

وقال آخر:

فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

وقد أصاب ابن السماك حين قال للرشيد وكان بيده شربة من ماء: "يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم فقال له يا أمير المؤمنين: لو أنك شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له: لا خير في ملك لا يساوى شربة ولا بولة .

وقال وهب بن منته: " خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مرأ بزرع قد أفرك . فقالوا يا بنى الله إنا جياع . فأوحى الله تعالى أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون ، فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول : " زرعى ، وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبإذن من تأكلون ياهؤلاء فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم ^(١) إلى تلك الساعة فإذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون : " أرضنا ورثناها عن أبائنا وأجدادنا فقر الرجل منهم وكان قد بلغ أمر عيسى عليه السلام ولكنك لا يعرفه . فلما عرفه قال لعسى معذرة إليك يا بنى الله إنى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك ، فبكى عيسى عليه السلام وقال للرجل : وبحك ، هؤلاء كلهم ورثوها وعمرؤها ثم ارتحلوا عنها ، وأنت مرتحل عنها ولا حق بهم وليس لك أرض ولا مال .

وروى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه ^(٢) : " ولما رجع من اصفين " ودخل أوائل الكدفة رأى قبراً . فقال : " قبر من هذا ؟ فقالوا له : هو قبر خباب بن الأرت . رضى الله عنه فوقف عليه وقال : " رحم الله خبابا أسلم راغبا ، وهاجرا طائفا ، وعاش مجاهدا ، وأبتلى فى جسمه أفراد ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا " ثم مشى فإذا هو بقبور فوقف

١ - ذاته ص: ٨١٠ .

٢ - ذاته ص: ٨١٤ .

عليها: " السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال القفرة أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع
وبكم عما قليل لاحقون .

اللهم اغفر لهم وتجاوز عنا وعنهم ، طوبى لمن نكر الميعاد وعمل ليوم الحساب، وتنع
بالكفاف ، ورضى عن الله تعالى ، ثم قال " يا أهل القبور، أما الأزواج فقد نكحت ، وأما
الديار فقد سكنت ، وما الأموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ؟ ثم التفت إلى
أصحابه وقال لهم : " أما أنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد والتقوى :

الاحتضار

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الاحتضار

قد وردت الأحاديث صريحة تنبئنا بأن المرض يكفر السيئات ويمحو الذنوب ويغفر الذلات ، فلقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :- (مَنْ يرد الله به خيراً يُصب منه) وعنهما أيضا يعنى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها) ويرى لنا البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوعك فقلتُ يارسول الله : إنك توعك توعكا شديداً ، (١) قال صلى الله عليه وسلم : " أَجَلٌ " إنى أوعك كما يوعك رجالان منكم قلت ذلك أن لك أجرين ، قال عليه السلام : أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ، من حيث أتتها الرياح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرز ، صماء معتدلة ، حتى يقصمها الله إذا شاء .

بعد هذه الأحاديث التى سقناها للقارىء المسلم والتى تبشر المريض كما فهمنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفة الذكر يكفر الذنوب ويمحو الخطايا ، ويغفر الذلات ، ويطمث الهفوات وخاصة إذا صاحب ذلك المرض صبر من المريض ، فلا يتضجر ولا يتبرم ولا يتسخط متمثلاً تلك المعانى الإسلامية عن طريق تجسيدها من فؤاده وبالأعتقاد فى قلبه ، والإيمان أن المرض ، مكفر الذنوب إذا صاحب ذلك المرض صبر جميل لأنه ابتلاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : " أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل

١ - الوعك و الوعة : هى حرارة الحمى وألمها ، ويقال وعكة المرض ..

فالأمثل". فعلى المريض أن يصبر على ما يحلّ بساحته من آلام. فلقد روى مسلم عن صهيب ابن سنان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". وروى البخاري عن أنس قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصر عوضته عنهما الجنة والمراد بحبيتيه "عينيه"، وسميت العين حبيبة لأنها أحبّ عضو في جسم الإنسان للإنسان، والإبتلاء هو الاختيار والإمتحان ومع هذا فإنه يجوز للمريض الشكوى إلى الطبيب والصيدق للتداوى، والتسرية لهمّ عنه، ورفع الضر عنه فقد خلق الله الداء، الدواء، فالإسلام يأمرنا بالتداوى فهو دين مرن يؤكّب كل الأعصر، ويناسب كل الأزمنة.

وقبل أن يشكو المريض، ينبغي عليه أن يحمد الله عز وجل بيد أن الشكوى إلى الله سبحانه مشرّعة، فقد شكى شكى إلى ربه ضرّه، سيدنا "يعقوب" فقال: قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(١) وقال تعالى "وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"^(٢) وقال تعالى في شأن أيوب "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ"^(٣) ولقد شكى النبي صلى الله عليه وسلم -إلى ربه ضعفه وظلم الناس له، فقال عليه السلام حينما رجع من الطائف كسير القلب، مفطور الفؤاد وقد

١- سورة يوسف : الآية ٨٦ .

٢- سورة يوسف : من الآية ٨٤ .

٣- سورة الأنبياء : الآية ٨٣-٨٤ .

ذهب ليدعو أهل الطائف فما كان منهم إلا أن أغرأه سفاءهم ، وعبيدهم ، وعلماهم فاصطفوا يرشقونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، ويحثون التراب في وجهه الشريفة .
فاتكأ إلى جدار حائط " لعتبة وشيبة ابني ربيعة " ومد بصره إلى السماء مخاطباً ربّه عز وجل (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي) ولقد ثبت أن المريض يكتب له ما كان يفعله من الطاعات وهو سليم معافى ، فلقد روى البخاري عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا مرض العبد أو سافر ، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً والاحتضار نزول الموت بالإنسان ، يقول صاحب اللسان (وحضِرَ المريض واحتضِرَ إذا نزل به الموت : وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ، ذكر الأيام وما في كل منها من الخير والشر ثم قال : (والسبت أحضِرُ إلا أن له أشطرا أى هو أكثر شراً ، وهو أفعال من الحضور ومنه قواهم :) حضِرَ فلان واحتضِرَ إذا دنا موته . وتقول النبي صلى الله عليه وسلم : إلا أن له شطرا " أى خيراً مع غيره ، مع شرّه . ومن (حلب الدهر أشطره) (أى نال خيره وشره) (١)

ما يجب فعله بالاحتضار؟

يسن أن يوجّه من حضرتّه الوفاة إلى القبلة ، وذلك بأن يجعل المحتضر على جنبه الأيمن ، ووجهه لها إن لم يكن ذلك صعباً ، أو أمراً غير ميسور ، وإلا وضع على ظهره ورجلاه إلى القبلة ويرفع رأسه قليلاً ليصير إليها ، خلافاً للمالكية الذين يقولون إن ذلك مندوب وليس بسنّه ، ويستحب أن يلقن الشهادة وذلك بأن تُذكر عنده حتى يقواها ، ولكن لا يأمر بها خشية أن يتلفظ بألفاظ تخرجه عن الحقّ ، والصواب ، وخاصة إذا كان يعاني من مرض صعب ، فيكتفى بذكرها عنده وهي " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

١ - لسان العرب لابن منظور - ط دار المعارف - مادة (حضر) ص ٩٠٨ .

"وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله " فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار " ولقوله عليه السلام : " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " ومنه عن الإلحاح على المحتضر لينطق بالشهادتين مخافة الضجر والتفوه بما لا يليق ، بى وعدم النطق بالألفاظ التى تدخله فى دائرة الحرج من الناحية الإيمانية وخشية أن يرفض النطق بها قائلًا (لا) أو لا أنطق بها ، أو غير ذلك من الألفاظ التى توقعه فيما يغضب الله عز وجل كما يستحب تلقينه بعد الفراغ من دفنه ، وتسوية التراب عليه .

كيف نلقن الميِّت ؟

وكيفية تلقين الميِّت ، بأن يقول الملقن مخاطباً الميِّت الذى دفن وسوى التراب عليه (يافلان ابن فلانة إن كان يعرفه ، ويعرف أمه وإلا يقول : (يافلان ابن حواء عليها السلام) أذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا ، وهو (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأنت رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخواناً . (١)

ما يجب فعله بالمتحضر

ويندب الشارع الكريم ، أن يدخل على المتحضر حال احتضاره أحسن أهله وأصحابه ، وكثرة الدعاء له وللحاضرين ، كما يندب إبعاد الحائض والنفساء والجنب وكل شئ تكرهه الملائكة . مثل (آلة اللهو) ويندب أن يوضع عنده طيب أى عطر ، أو نجور رائحة عطره ، أو أى نوع آخر من أنواع العطور كالمسك ، والبرفان ، وما إلى ذلك من أنواع العطور حتى يكون المكان الذى يرقد فيه المتحضر له رائحة عطره لأن الملائكة تحضره

١- الفقه على المذاهب الأربعة - الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ٤٦٠ .

والملائكة تكره الرائحة الكريهة ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الرائحة الذكية .

كما يستحب أن يقرأ عنده سورة (يَس) ما من مريض يقرأ عنده (يَس) إلا مات وهو ريان وهو عدم العطش وأدخل قبره (ريان) وحشر يوم القيامة (ريان) ^(١) يندب للمحتضر أن يحسن ظنه بالله تعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم . ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، أنه يرحم ويعفو عنه (وفي الصحيحين قال الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي) .

يندب لمن يكون عند المحتضر أن يحمله على تحسين ظنه بالله تعالى ويسن تغمض عينيه خلافاً للمالكية فقد قالوا : تغمض العينين عقيب الموت مندوب ، كما أن الدعاء الذي سنذكره ليس بمطلوب لديهم وهو (أن يقول مغمّضه : (بسم الله وعلى ملة رسول الله اللهم اغفر له وارفعه درجة في المهديين ، وأخلفه في عقبه في الفائزين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وفسح له في قبره ونور له فيه) وقد روى هذا عن النبي عليه السلام لما أغمض أبا سلم ^(٢) رضی الله عنه .

١- رواه أبو داوود .
٢- رواه أبو داوود ص ٤٦١ .

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الموت

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الموت

إن الدنيا خداعة ، غرارة ، تُعطى لتأخذ ، وتجمع لتُفَرِّق وتُحَلِي لِثَمَرٍ ، وإنها لتُفَرِّغ في القلوب أكنوساً من الحزن بقدر ما تصب فيها من صُبور وسرور .

هي الدنيا تقول بملء فيها
 فلا يُغزركم متى ابتسام
 حذاري حذاري من بطشى وفتكى
 ففَقُولِي مُضْحَكِ وَالْفِعْلُ مَبْسُكِي
 ويقول آخر :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
 إلا التي كان قبل الموت بانيها
 فإن بناها بخير طاب مسكنه
 وإن بناها بشر خاب بانيها
 فاعمل لدارغداً رضوان خازنها
 فالجار أحمد والرحمن ناشيها

من الحقائق الثابتة التي لا ينكرها أحد سواء أكان مسلماً أم كافراً (حقيقة الموت) فمهما عمّر الإنسان في هذه الحياة الدنيا لا بدّ من أنه سيموت ، ولا بد لكل نفس أن تذوق طعم الموت ، وأن تتجرع كأس المنون ، يقول الحق سبحانه (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١)

يقول أهل العلم : (إن الغرير هو الشيطان ، لأنه يغري بالإنسان ، ويزين . القبيح حسنا ، "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون " (٢) فيجره إلى المعاصي ، وبذلك يكون قد غرّ به وأوقعه في معصية الله عز وجل ، وقيل إن الغرير : " هو

١- سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

٢- سورة فاطر الآية ٨ .

الأمل حيث إن المؤمل في الحياة الطامع فيها، المنهمك في لذاتها، المشغول بها، الذي ملكت عليه أقطار نفسه كل ذلك يجر، إلى معصية الله أيضا فواجب على المسلم أن يكون معتدلا في حياته، وفي كل أعماله، وجميع تصرفاته وخاصة في عبادته لله عز وجل فيعمل للدنيا والآخرة بحيث لا تطغى كفه على أخرى، قد بيننا دين العدل والاعتدال، كما أنه أمرنا بالعمل للحياتين (الدنيا والآخرة) قال تعالى: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (١). ومن المأثور " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كانت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها" وقيل إن الغرور: هو الدنيا حيث إن الناس في شغل شاغل منها، فيجرون وراء ملذاتها وينخدعون بشهواتها، ويلهثون وراء بهرجها الكاذب، وزحرفها الخداع ويلهثون وراءها حتى تنقطع أنفاسهم، فيلقون الله وهم الخاسرون واليعاذ بالله تعالى .

في رأينا أن الغرور سواء أكان الشيطان أو الدنيا أو الأمل فالثلاثة مجتمعة تدور في فلك واحد ومعنى متحد وغايتهم واحدة، حيث إن الآية تتغيا غاية سامية وهى أن الدنيا متاع الغرور، وما هى إلا معبر للآخرة، ومزرعة لها، وحذر القرآن من الإمتنان أو الإنخداع، ولذلك يقول الحق سبحانه " وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبٌ " (٢) وفرحوا بالحياة الدنيا فى الآخرة الا

١- سورة التوبة : الآية ١٠٥ .

٢- سورة الرعد الآية ٢٦ .

متاع "أو المتأمل في هذه الآيه يستشف معنى سامياً ، وعظيماً وهو (وما الحياة الدنيا في الآخرة) ؟! يعنى ما قيمتها ، وما وزنها وما فائدتها ، ماهى فى الآخرة إلا شىء لا وزن له ولا يُعبأ به وذلك بالنسبة لما يلاقيه المسلم فى الدار الآخرة من صنوف النعيم من فواكه كثيرة ، وحُور عِين ، وولدان مخلدون ، وأكواب وأباريق وكأس من معين ، حيث إن الملائكة يبرون على أهل الجنة بالثمار ويقدمونها لهم فيقول أهل الجنة للملائكة : " لقد أكلنا من هذه الفاكهة قبل ذلك ، فيردّ الملكُ عليه قائلاً : " كُلْ فَإِنَّ اللَّوْنَ وَاحِدٌ وَلَكِنَّ الطَّعْمَ مُخْتَلَفٌ ودايل ذلك قول الحق سبحانه : (وَنَشِئِرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)^(١) والمقصود بالأزواج المطهرة فى الآية الكريمة (الحور العين) اللاتى قال فى وصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لو ابتسمت إحداهن لأضاءت ما بين المشرق والمغرب ، ويقول الله تعالى عنهن : (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)^(٢))

ويقول تعالى : (فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ)^(٣) ويقول تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)^(٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَمَلِينَ)^(٥) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)^(٤)

١- سورة البقرة الآية ٢٥ .
٢- سورة الرحمن الآية ٧٢ .
٣- سورة الرحمن الآية ٥٦ .
٤- سورة العنكبوت الآية ٥٨ .

وهنا قالت الملائكة: لن نموت، لأن الله تعالى يقول: كل نفس، ولسنا بأنفس وفعلاً حقّ لهم ذلك لأن الملائكة أجسام نوارنية يعنى أنها مخلوقة من نور، قادرة على التشكل بأشكال حسنة، مبتعدة عن كل شكل قبيح، بخلاف الشياطين فهم أجسام نارية يعنى أنها مخلوقة من نار، قادرة على التشكل بأشكال حسنة، وأشكال قبيحة، فتارة تراه فى ثوب رجل صالح، وتارة أخرى تراه فى صورة حيوان شرس، أو خمار، أو قرد وخاصة المردة منهم أى الخبيثاء، الذين يظهرين لتخويف الناس، وإرعابهم، وقذف الرعب فى قلوبهم.

فأنزل الله قوله سبحانه (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ^(١) فقالت الملائكة: إذن لن نموت، فإن الله تعالى يقول: " كل من عليها فان " أى على الدنيا ولسنا عليها فنحن نسكن السماوات العلاء، لا تنزل إلا بأمر من ربنا، فأراد الله عزّ وجلّ، أن يحسم أماع الملائكة فى البقاء، وأن يقطع أمل كل مأمّل فى الخلود، فأنزل الله قوله سبحانه (تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ^(٢) عندئذ عرفت الملائكة كما عرف غيرهم أنه لا بقاء إلا لله سبحانه، وأن الجميع فانٍ، حيث جاءت لفظه (شئ) نكرة، والنكرة عند أهل اللغة (مادلت على شئ غير معين)

فالسماوات شئ، والأرض شئ، والجبال شئ، والنجوم شئ، والكواكب شئ، والإنسان شئ، والحيوان شئ، والكرسى شئ، والعرش شئ، واللوح شئ وكل ما خلق الله عزّ وجل يسمى شيئاً.

١- سورة الرحمن الآية ٢٧.

٢- سورة القصص الآية ٨٨.

فكان الحكم فى الآفة الكرفمة ءامعاً؁ لكل ما خلق الله؁ وبمعنى أدق؁ ماعدا الله فهو شىء؁ إذن ماعدا الله فهو هالك؁ رضفنا بالله رباً؁ وبالإسلام دfنا؁ وبمحمد صلى الله علفه وسلم نبياً ورسولاً.

وقضية الموت من القضايا التى لا فختلف فىها اثنان؁ بل هى من المسلمات ولا فبكر ذلك أحد من فمفيع الأءفان. فكل إنسان من آفة ملة إذا سألته قائلاً: ما رأفك فى قضية الموت؟ أءابك بقوله: ذلك أمر محتوم. ولا رفب فى أننا فمفيعاً مفئون.

فقول الثناء:

ومن لم فمت بالسف فماف بففره
 ونرى الصءابى الفلل؁ والشاعر الفارس؁ والأءفب القاء؁ (عبء الله أبى رواءه) رضى الله عنه: فقول فى هذا المعنى ففنا ءولّى قفلة الففش بعء اسءشهاد القاءفن قبله وهما (زفء بن ءارءة؁) (فعفر بن أبى طالب). فقال رضى الله عنه:

| | |
|---------------------|---------------------|
| فما فمفف ففء أءففف | فما فمفف ففء أءففف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |
| أف ءبءلى ففءها هءفف | أف ءبءلى ففءها هءفف |

ومن ءوففهاء رسولنا الكرفم صلى الله علفه وسلم - أنه ءءب الناس ءاف فوم مؤمء الله وأءنى علفه ءم قال: (أفها الناس: إن لكم معالم فافءهوا إلى معالمكم؁ وإن لكم فهافة ما فافءهوا إلى فهافةكم ففان العبء بفن مفافءفن: بفن أءل قء مضى لا فءرى ما لله

صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه .فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لأخرته ، ومن الشيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار "

هذه الخطبه على وجازتها جاءت بمعان سامية و غزيرة و شىء يعجز عن الإتيان بمثلها أفصح الخطباء وأقوالهم ولا عز فالخطيب رسول الله عليه الصلاة والسلام : إن لله عز وجل معالم جلية ، ومنهج بين واضح فالإسلام بتعاليمه السامية ، وأوامره السامية ونواحيه التى لا لبس فيها ولا غموض ، والتى أجلت طرائق الخير وودعت إليها ، وبنيت طرائق الشر ونهت عنها ، وبما جاء به من مبادئ قويمه ، وتعاليم سوية يضع أمام البشرية جمعاء ، الدلائل التى ترشدهم إلى الحق والخير ، وتعرفهم بالضال منها والمنحرف ، أو المستقيم فكان واجباً على الناس الاسترشاد بما جاء به الإسلام الحنيف ، وأن يترسوا هديه البين ، وقد أقام الله سبحانه للناس حدوداً أو نهايات للوقوف لديها فى كل أعمالهم وأقوالهم ، وتصرفاتهم ثم يلقي النبى صلى الله عليه وسلم الأضواء الكاشفة على موقف الإنسان فى الحياة الدنيا مبيناً أن المرء بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه ، ويسبب هذا كان العبد بين مخالفتين ، فالأمر يتطلب اليقظة والعمل الءوب حتى يكون بمنجاة من سخط الله عز وجل ، ثم نرى سيد الخطباء ينتقل بعد ذلك إلى تبيان ما يجب على العبد أن يسلكه فى حياته ، وهو أن يكبح جماح نفسه مما تحبه ، وتغريه بارتكابه وأن يبادر إلى الطاعات ، وفعل الصالحات والنأى عن ارتكاب المنكر ، واقترف السيئات ، مغتنماً الشباب فى تحصيل البر والحسنات ، قبل أن يطعن فى السن ويخط الشيب رأسه .

وينذرهم الهرم بالفناء ، وأن يغتنم الحياة الدنيا ، فيعمل بجد وإجتهاد فيها ما يقربه إلى الله سبحانه ، قبل فوات الأوان ، وإدراك الموت له ، ثم يختم الرسول عليه الصلاة والسلام خطبته هذه بقسم يؤكد الكلام الذي ساقه من قبل اعتباراً وعظة ، وتنبيهاً وإرشاداً أن الإنسان إذا مات إنقطع رجاءه وانتهى أمره ، ودفنت معه فى التراب آماله وطموحاته حيث لا فرصة لتداول ما فات . لقوله صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمل إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ولا يصبح أمامه شيء سوى الثواب أو العقاب ، فله جزء الجنة إن كان مطيعاً ، وجهنم يصلها إذا كان عاصياً مسيئاً. (١)

يقول سرى القطي " مررت على القبور يوماً فوجدت " بهلول المجنون " يجلس بين المقابر وقد دلى رجليه يعبت بأصابعه فى التراب فقلت له : يا بهلول ما أجلسك بين المقابر مع الأموات

فقال : أجلس بين قوم لا يؤذوننى ، وإن غبت عنهم لا يغتابونى ، ثم أنشد قائلاً :

يا مَنْ تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفانيت عمرك فيما لست تدريه تقول لله ماذا حين تلقاه (٢)

١- قطوف من ثمار الأدب الإسلامى / للمؤلف ص١٧٦. الدار العربية اللبنانية .
٢- صفة الصفوة المجد الأول .

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

سكّرات الموت

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

سَكَرَاتُ الْمَوْتِ

يقول صاحب اللسان: "وسكرة الموت (شدته) وقوله تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) ^(١) وسكرة الموت (غشيته) التي تدل الإنسان على أنه ميّت وقوله تعالى (بالحق) يعني الموت الحق. ^(٢)

وسكرات الموت ، وشدتها ، وعظم أهوالها لوفطن المسلم إليها ، وتأمل ما يحدث معه من عذاب وشدّة ، وهول و كرب لوأن المسلم تذكر ذلك لكان جديراً بأن ينعّص عليه عيشه ويكدرّ صفوه ، ولطال تأمله ، ولزهد الحياة الدنيا ، ويقول بعض الحكماء فى هذا المعنى (كَرَبُّ بَيْدِ سِوَاكَ لَا تَدْرِي مَتَى يَغْشَاكَ وَقَالَ لِقَمَانِ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ : (يَا بَنِيَّ أَمْرًا لَا تَدْرِي مَتَى يَلْقُوكَ وَاسْتَعِدَّ لَهُ أَنْ يَفْجَأَكَ ، وَنَسِيَانِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ غَفْلَةً مِنَ الْمُسْلِمِ ، وَهُوَ وَلَعِبٍ ، بَلْ هُوَ ضَلَالٌ مُبِينٌ ، يَقُولُ شَاعِرٌ قَدِيمٌ :

صَاحِ ثَمَّرٌ وَلَا تَزَلْ ذَاكَرَ الْمَوْتِ تِ فَنَسِيَانِهِ ضَالٌّ مُبِينٌ

فألم سكرات الموت والنزع ، تحس به جميع أجزاء البدن حيث إن الروح سارية فى البدن سريان الماء فى العود الأخضر إذا أهضرته ، وعصرته فى أى مكان منه ، وفى أى جزء من أجزائه " ترّماء " والريح كذلك تجعل الإنسان يحسّ بالألم إذا شكته شوكة فى أى جزء من أجزاء جسمه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنما مثقل المؤمنين فى توأدهم ، وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، مما يدل دلالة حاسمة على أن الروح سارية فى الجسم كله سريان الماء فى العود الأخضر كما أو مأنا إلى ذلك أنفا . وألم النزع يهجم على نفس الروح

١- سورة ق الآية ١٩ .

٢- اللسان (مرجع سابق) مادة / سكر ص ٢٠٤٧ .

ويستغرق جميع أجزائه من مَفْرَقِ رأسه أشدَّ من الضرب بالسيف ، ونشر المناشير / وقرص المقاريص فالجسم يتألم لأنه متعلق بالريح فكيف بك إذا عرفت أن سكرات الموت للروح نفسها ، ومنصَّب كل الانصباب عليها وتأمل معي ، وسرَّح بصرك واقدح زناد فكرك . ولو يتأمل هذه الحالة عن طريق الخيال ، وذلك بأن نضع ميتاً أمام أعيننا (فى الخيال) ثم ننظر إليه بعين البصر والبصيرة وهويئنا ، ويتألم ، ويتوجَّع ويتأوَّه ، وقد تغير لونه / واربداً وجهه حتى لنحيل إلى الناظر إليه أنه رُداً إلى أصله الذى فيه خلق ، وهو التراب . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ربِّ إلى أصل فطرته .

ثم تشاهد بعين البصيرة ، أو بالخيال ، والتأمل فنجد أن لكل عضو من أعضاء المحتضر ، سكرة بعد سكرة ، وكُرْبَة بعد كربة حتى تبلغ الحلقوم ، وحينذاك ينقطع نظر الميت عن الدنيا ، وأهلها ويغلق دونه باب التوبة ، وتحيط به واليعاذ بالله تعالى الحسرة والندامة (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَخُنُّ أَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) (١) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، (٢) ويقول مجاهد فى قوله تعالى (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (٣)

١- سورة الواقعة الآية ٨٣ : ٨٥ .

٢- أخرجه الترمذى وحسن ، وابن ماجه من حديث ابن عمر .

٣- سورة النساء الآية ١٨ .

ويقول مجاهد فى معنى هذه الآية يعنى إذا عَاشَ الرَّسَلُ فعندئذٍ تبدون له صفحة وجه مَلَكِ الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت ، وكرهته عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم هَوِّنْ على محمد سكرات الموت)
ولذلك كان خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت خوفاً عظيماً حتى إن عيسى عليه السلام قال للحواريين : (يامعشر الواريين : ادعوا الله تعالى أن يهَوِّنَ علىَّ هذه السكرة يعنى الموت ، ويذكر لنا صاحب الإحياء . أن نفرأ من بنى إسرائيل مرّاً بمقبرة فقال بعضهم لبعض : (لودعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميّتاً تسألونه فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود ، قد خرج من قبر من القبور فقال : (ياقوم ما أدركتم منى ؟ ! لقد ذُقْتُ الموت منذ خمسين سنة ما سَكَنْتُ مرارة الموت من قلبى. (١)

وقالت عائشة رضى الله عنها : (لا أعيط أحداً يهَوِّنْ عليه الموت ، بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى أنه عليه السلام كان يقول : (اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب ، والقصب ، والأنامل ، اللهم فأعنى على الموت ، وهَوِّنْه علىَّ. (٢)

وقال (شداد بن أوس : (الموت أقطع هَوْلُ فى الدنيا والآخرة على المؤمنين ، ولو أن الميت بعث فأخبرنا بما حدث معه من سكرات الموت ما الترت المؤمن بعيش ، ولا سَعَدَ بحياة ولا نوم وقالت (فاطمة الزهراء) رضى الله عنها : (واكرباه لكربك يا أبتاه ! وهو يقول لها عليه السلام :- لا كَرَبَ على أبيك بعد اليوم)

١ - الأحياء ص٤٢٠ طدار الصابوش.

٢ - أخرجه البخارى من حديث أنس بلفظ (واكرب أبتاه) وفى رواية لابن خزيمة (واكرباه)

وهذا دليل على أن الميت المسلم بخير بعد اجتياز؛ هذه المرحلة (مرحلة سكرات الموت .فلان الله تعالى قد يشدّد على المسلم سكرات الموت ، ليرفع بذلك درجاته فى الجنة ولذلك قال الرسول عليه السلام : (لا بنته) لا كرب على أبيك بعد هذه اللحظة).

أيها الأخ المسلم هذ سكرات الموت ، وشدّتها وهولها وفضاعتها وشناعتها على أولياء الله وأحبابه ، فكيف بنا ونحن المقصّرين وعلى الدنيا متكالبون ، وفيها منهمكون وفى الملدّات والمعاصى غارقون ؟ !

دواهى الموت :

إعلم أيها الأخ المسلم أن دواهى الموت ثلاث :-

أولاً : شدة نزع الرّيح وخرجها من البدن ، وصعودها إلى بارئها سبحانه تعالى .
ثانياً : مشاهدة المحتضر لصورة ملك الموت ، ودخول الخوف والهلع ، والفرع ، والرعب فى قلب المحتضر حتى ينوب ذوباناً .

ثالثاً ، والداهية الثالثة ، مشاهدة العصاة لمواضعهم ، وأماكنهم التى سيحتلونها فى النار يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار ..)^(١) ومال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ .)^(٢) فقالوا " كلنا نكره الموت قال : (ليس ذلك بذاك . إن المؤمن إذا فرج له عمّا هو قادم عليه أحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه .)^(٣)

١ - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقفا .

٢ - الأحياء ص ٤ ص ٤٢٣ .

٣ - الحديث متفق عليه من حديث عباده بن الصامت .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات :-

الأولى ، قول الحق سبحانه (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ) (١).

الثانية ، (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ) (٢).

الثالثة ، قوله عز وجل (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ) (٣).

الرابعة ، قوله سبحانه ، (كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) (٤).

وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله إذا رضى عن عبد قال: ياملك الموت إنذ هب إلى " فلان " فأتى برؤحه لأرريحه ، حسبى من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحب ، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الریحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشّره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صفيين لخروج رؤحه معهم الریحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ فيقول له جنوبه : (مالك يا سيّدا . فيقول أما ترين ما أعطى هذا العبد من الكرامة ؟ !! أين كنتم من هذا ؟ قالوا قد جهدنا به فكان معصوماً) (٥) ويقول الحسن رضى الله عنه :- (لا راحة للمؤمن إلاّ فى لقاء الله) ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى ، فيوم الموت يوم مسروره ، وفرحة ، وأمنه وعزّه وشرفه ، ولذلك ترى قلوب العارفين بالله قد تقطعت نياط قلوبهم خوفاً من سوء العاقبة ، وحقّ لهم الخوف فإن سوء الخاتمة من كُبْرَى الدواهى لدى الموت . وقانا الله وإياكم سوء الخاتمة .

١- سورة ق الآية ١٩ .

٢- سورة الأنعام الآية ٩٣ .

٣- سورة الواقعة الآية ٨٣ .

٤- سورة القيامة الآية ٢٦ .

٥- أخرجه ابن أبى الدنيا فى (كتاب الموت) من حديث (تميم الدارى) بإسناد ضعيف .

مواقف للمؤمنين في حالة الإحتضار :-

لما احتضر (أبو بكر) رضى الله عنه جاءت السيدة الفضلى "عائشة" رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت الشعري .

لعمرك ما يغنعن الثراء عن الغنى إذا حشر يوماً وضاق بها الصدور

فكشفت (أبو بكر) رضى الله عنه عن وجهه وقال : (ليس كذا ولكن قولى "

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ).. (١)

انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما ، وكفونى فيهما فإن الحى إلى

الجديد أحوج من الميت . ثم قالت رضى الله عنها :

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضى الله عنه : " ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم " ودخلوا عليه

فقالوا له " (ألا ندعوك طبيباً ينظر إليك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : (قد نظر

إلى طبيبي فقال (إني فعّالٌ لما أريد " ودخل عليه " سلمان الفارسى " رضى الله عنه لعونه

فقال : يا أبا بكر أوصنا . فقال : إن الله فاتحٌ عليكم الدنيا فلا تأخذ منها إلاّ بلائك ، واعلم

أنّ من صلّى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تحقرنّ الله فى ذمته فيكبّك فى النار على

وجهك " (٢) ..

وقال سعيد بن المسيّب وهو أجد التابعين بل يعدّ من الطبقة الأولى الفتى من

التابعين طيب الله ثراه ، لما احتضر (أبو بكر) رضى الله عنهم فقالوا : يا خليفة رسول

الله زِدنا ترى ما بك يعنى فى حالة الإحتضار وَدَنَوْتَ من الموت فقال لهم (أبو بكر) رضى

الله عنه من فال هذه الكلمات ثم مات ، جعل الله روحه فى الأفق المبين قالوا : وما الأفق

١ - سورة ق الآية ١٩ .
٢ - الأصابع ص ٤ ص ٤٣٣ .

المبين ؟ قال أبو بكر : هوقاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول حبل الله روحه فى هذا المكان وهذا القول وتلك الكلمات هى (اللهم إتك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم فريقاً للسعير ، اللهم إنك خلقت الخلق وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيماً وسعيداً وغوياً ورشيداً ، فلا تشقنى بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت ، فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك ، اللهم إن أحداً لا يُساء حتى تشاء فاجعل مشيئك أن أشاء ما يقربنى إليك ، اللهم إنك قد قدرت حركات العباد ، فلا يتحرك شىء إلا بإذنك فاجعل حركاتى فى تقواك ، اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به ، فاجعلنى من خير القسمين .

اللهم إنك خلقت الجنة والنار ، وجعلت لكل واحد منهما أهلاً فاجعلنى من سكان جنتك ، اللهم إنك أردت بقوم الضلال ، وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدرى بالايان وزينة فى قلنى ، اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك ، فأحيينى بعد الموت حياة طيبة ومربنى إليك زفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك ، فأنت ثقنى ورجائى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال أبو بكر رضى الله عنه هذا كله فى كتاب الله عزوجل . (١)